من وحي النظرة

أبو أنس السليمان..محمد عطية

obeikandl.com

obeikandl.com

إهداء

إهداء لك يا من أحيت فيّ نظراتك ما لا أعرف كنهه،
وإهداء لأولادك- بإذن الله- علهم يحيون فيك؛ ما أحييته في أبيك!
وإهداء لكل أب وأم، ومن ينتظر.
جولة في عالم النقاء،
اربطوا أحزمة التأمل على مقاعد الحب،
رحلة سعيدة.

محمد عطية

أبو أنس السليمان

obeikandl.com

من وحي النظرة

أنظر في وجهك يا ولدي؛ لأتعلم أعمقَ المعاني من ملامحك البريئة، ضحكتك صادقة لا تجامل، ودمعتك حارة لا تتملق.

مَن ارتحتَ لطلَّتِهِ تهش له كحبيبٍ تلقاه بعد غياب، ومن لم تألفه صرخت في وجهه كأنما رأيتَ شبحًا أخافك.

لا تفرق في ذلك بين قريب أو بعيد، بين غني أو فقير؛ فأنت فقط تطيع قلبك دون أي حسابات أو اعتبارات.

لكن دنيانا يا ولدي ليست هكذا، قد تضطر لبسمة باهتة وقلبك حزين- سلم الله أيامك من الهم والغم-، قد تضطر لبشاشة مجاملة لسمج ثقيل!

لا، لا تخطئ فهمي، ليس نفاقًا يا ولدي، لكنها الدنيا!

obeikandi.com

من وحي النظرة (٢)

ها أنت نائم يا ولدي، تتوسد الرضا وتلتحف السكينة، ممدد يديك، كأنما تبرأ إلى الله من آفات دنيانا، حضن أمك هو كنزك الأغلى، لا ترضى به بدلًا ولو نزل البدر من عليائه ليكون لك مهدًا، لله دَرُّ قناعتك.

يا لعجبي منك.. تنام هكذا في هدوء محلقًا في عالم روحك دون أي ارتباط بعالمنا الأرضي، إنك لم تسألني حتى هل بقية الحليب في علبتي ستكفيني غدًا؟! ومن أين سنأتي بالثانية؟!. أما يشغلك قوتك؟! أما تتقلب مثلنا على فراش الأرق مشغولًا بغد لم يأت بعد؟!

إيييه. اعذرني يا ولدي، نسيت أنك لا تلقي بالًا لهذه الحسابات التي نغصت حياتنا.

خرجت من رحم أمك بيقين واحد لا تلتفت لغيره: (مادام أنه خلقني، فقد تكفل برزقي)، ليتك تثبت عليها يا ولدي حياتك كلها، ليتك لا تتلطخ بحساباتنا الأرضية.

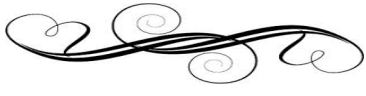

obeikandi.com

من وحي النظرة (٣)

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ﴾

أوضحُ تفسير لهذه الآية عندي، في نظرتي إليك يا ولدي، يا لله ما أضعف قوتك، وأقل حيلتك

إنك لا تستطيع تناول طعام بين يديك وأنت تتضور جوعًا، فتبكي!

إنك تمد يدك لشمعة جذبك لونها، وما عرفت معنى لهبها، فتبكي!

إنك يا ولدي أسهرتَ أعيننا ليلة إلا قليلًا تبكي بكاءَ صَبٍّ أرَّقَتْهُ مرارةُ الفراق، لكن لسانه عاجز عن البيان، فلا هو أراح نفسه ببث همه، ولا هو قادر على دفع ما أهمه.

أتدري ما الذي فعل بك وبنا كل ذلك؟!؛ إنها نملة ضعيفة تدب على جسدك الرقيق يا ولدي! ليس العجب من أين أتتك، بقدر العجب من ضعفك عن ردها عن نفسك!

لكن.. أتدري يا ولدي، مع كل ضعفك وعجزك عن نفع نفسك؛ أنت أفضل منا، أفضل بكثيير!

أنت تبوء لربك بضعفك، مفوض مستسلم لأمره، لست من الدنيا وآفاتها في شيء، ولذا تغشاك من الله رحمته، وتحيطك عنايته.

يا ولدي إن القطر ينزل بعد رحمة الله لوجودك وأقرانك في دنيانا، لولاكم ما بكت السماء يومًا لقحط الأرض. أنتم يا ولدي أصل الحياة، وسر نقائها.

هل تدري أننا بعقولنا الناضجة التي بيّن لها ربها الصالح من الفاسد؛ كثيرًا ما نضعف أمام مهلكة تشتهيها نفس أمارة بالسوء، نتوب ونعزم على عدم العود، ثم نضعف مرة أخرى! كثير منا يوقن بحرمة ما يفعل، ورغم ذلك يتبجح بأنه ضعيف! لِمَ تضحك يا ولدي.. تسخر منا؟! ألم أخبرك بأنك أفضل!

ضعفك مغلف بالبراءة، مغشو بالرحمة والعناية، أما ضعفنا فمتوار خلف السواعد المفتولة والأجسام الممشوقة! ضعفنا فيه وقاحة وجرأة ونسيان، أو قل تناسٍ!

فهذا المدلّ على الناس بعلمه يتناسى أنه كان يومًا لا يفرق بين الجمرة والتمرة والبعرة!

وهذا المتكبر المتعالي، المتجبر بسطوته يتناسى أنه كان يفزع من صوت عصفور على الشجرة المجاورة، فلا ينقطع بكاؤه إلا في حضن أمه!

وهذه المزهوة بجمالها؛ تبغي الفتنة ما امتثلت أمر ربها، تتناسى أنها كانت يومًا تنتظر رحمة الله في قلب أمها لتنظفها وترعاها، ولولا ذلك لكانت كتلة من أشياء قبيحة!

يا معشر البشر، ستظل مسحة من ضعف طفولي تلازمكم وإن نسيتم، تسكنكم وإن تنكرتم، تلاحقكم وإن نبتت لكم شوارب أو طالت لكن ذوائب!

إن كنا ننسى فأعيذك بالله يا ولدي أن تنسى أنت يومًا.

obeikandl.com

من وحي النظرة (4)

(لا يأتي زمان إلا والذي بعده شر منه، حتى تلقوا ربكم)

وقفت مع هذا الحديث يا أنس، والذي رواه سيدنا أنس يرفعه للنبي ﷺ.

نعم يا ولدي سميتك على اسمه تيمنًا أن تخدم سنة نبيك كما خدم أنس نبينا ﷺ،

فنعم المخدوم ونعم الخادم.

ذهبوا إليه في زمن الحَجَّاج يشتكون، فأجابهم بهذا الحديث مُصَبِّرًا لهم، مبينًا سنة لله في خلقه، وكأني بهم يتحسرون في أنفسهم سائلين: وأي شر سيأتي أمَرُّ من بطش الحجاج وظلمه؟! لم يدروا يا ولدي أنه جاء من بعد الحجاج من يبكي الحجاج نفسه شفقة واستنكارًا لو رأى ظلم فعالهم!

طوال يوم كامل وهذا الحديث مسيطر على خاطري يا ولدي، ترى كيف يكون زمانكم؟! وهل هناك شر أشر مما وصلنا إليه؟!

لا. لن أصف لك ما وصلنا إليه، لا تطاوعني نفسي أن ألوث عالمك البريء الذي لا تعرف فيه أكثر من حضن أمك وقت نومك، وعلبة الحليب على الرف تنظر إليها وقت جوعك، و(طيور الجنة) تنسجم معها وقت لهوك!

obeikandl.com

أظنك لو تعلم حقيقة دنيانا لرجوت أن تظل في عالمك النقي لا تكبر، أو ترجع حتى لرحم أمك لا تخرج!

وما هذا ولا ذاك ممكنًا، فستمشيها خطى كتبت عليك، وتحياها أيامًا قدرت في الأزل يا ولدي.

"كان زماااان..." لطالما تعودت سماع هذه الكلمة من جدك وجدتك، ممزوجة بتنهيدة عميقة تبحث عن بركة زمان، وبساطة ونقاء أيام زمان، وطيبة وتآلف أهل زمان. تحكي جدتك لمَّا كان جنيه واحد يكفي لتسويقة تُغْني البيتَ أسبوعًا، شاملة كيلو من اللحم الطازج! ويحكي جدك عن بركة اليوم الذي كان يكفي لأعمال قد نحتاج نحن الآن أسبوعًا لإنجازها!

يحكون عن طعم الفاكهة الطبيعي، ورائحتها التي كانت تملأ البيت وقت أكلها، ويتعجبون من مشمش أيامنا الذي صار بطعم الخيار!

يحكون ويحكون.. يشتاقون ويتعجبون.. وما ظننت أبدًا يا ولدي أنه سيأتي اليوم الذي أتنهد أنا فيه تلك التنهيدة العميقة لمَّا أفكر في أن جدتك ظلت ثلاثة عشر عامًا لا تملك ثلاجة، ومع ذلك لا أذكر أبدًا أنه فسد لدينا حبة فاكهة أو خضار، وأمك اليوم تخرج من ثلاجتها الحديثة ما فسد منها في اليوم التالي للشراء!

لمَّا أذكر يوم كنت أنتظر مع عمك بشوق فترة الأطفال في التاسعة صباحًا على القناة الأولى بعد قرآن الافتتاح، والتي تمتد لنصف ساعة

نفرغ بعدها لمراجعتنا وحفظنا ومطالعتنا ولهونا الذي ينشط أجسامنا، ثم أتنهد وأنا أرى قنوات أفردت للكرتون التهمت يوم جيلكم كله إلا قليلًا، ثم نشكو من انطواء وخمول كثير من الأطفال!

أتساءل يا ولدي هل يقنع (كابتن ماجد) الذي كان يقضي حلقتين في الهواء ليستلم الكرة ويسددها ومع ذلك تخلو الشوارع وقت عرضه من أطفال جيلنا، هل يقنع جيل (سبونج بوب) و (بن تن)؟!

هل يرضي (البلي) الذي كان غاية التطور في لهونا جيل (الآيباد) و (البلاي ستيشن)؟! إني أسمع الآن من طلاب ثالث ابتدائي كلامًا والله ما عقلته إلا في ثالث إعدادي، ويا ليته في الخير!

نعم يا ولدي، إني مشفق خائف؛ علام نحن مقدمون، هل ستشتاقون أنتم لأيامنا هذه، أنبكي منها اليوم وغدًا تبكون عليها يا ولدي، كيف ستكون أيامكم يا ولدي؟!

يحفظك الله يا أنس، وأبناء المسلمين.

obeikandi.com

من وحي النظرة (٥)

لم أكن يومًا يا ولدي مجيدًا للغة العيون، ولا متلقيًا لوحي النظرات، ما كنت أعرف لغة إلا مشافهة بلسان أو قراءة لمكتوب، أما ترجمة النظرات وحديث العبرات فأنت من علَّمنيه. لا أنكر أن أول كلمة قرأتها في عين؛ كانت كلمة الحب في عين أمك، يوم تحجر لسانها حياء لما سارتها بها خلسة عن المهنئين يوم عقد زواجنا!

كانت فرحتي يومها مضاعفة؛ أن من الله علي بقلب يحبني كما أحبه، ثم أني استطعت قراءة لغة ما عرفتها إلا في كتابات شيخنا الرافعي، لم أدر يومها يا ولدي أني سأتقن هذه اللغة على يديك، أتقنتها في أصدق معانيها وأوضح تعابيرها، صرختك الأولى التي استقبلت بها الدنيا، كانت مفجرة لشيء بداخلي لا أدري حتى الآن ما هو؟!

إنه يا ولدي أكبر من مجرد شعور بالأبوة، وأعمق من مجرد نشوة فرح. أحسست بثورة في كياني تسقط نظامًا تعودته في الحياة، وأقامت حكمًا جديدًا مسيطرًا على نظرتي لأدق التفاصيل.

أتدري يا ولدي؛ كم كنت أحتاجك؟!

لما التقت عيوننا أول مرة، لمحت في عينيك بقايا مشاهد من عالم الملائكة؛ فقد كنت حديث عهد بربك كما الغيث الطاهر.

لمحت يا ولدي نورًا أراني النور، غرست مع أول لمسة بداخلي بذرة رحمة، لازلت ترويها أنت مع الأيام، قالوا لي فرحين "يتربى في عزك"، وما درَوْا أنك من تربيني يا ولدي!

لحظات خارج نطاق الزمن تلك التي تطوق فيها ذراعاك الصغيرتان رقبتي، ثم تجذباني نحوك كأنما تريد أن تسر إلي بأمر، شعور لا يحد بوصف لما تعبث كفك الرقيقة بلحيتي ثم تقبض عليها كأنما تسدي إلي نصيحة، يفهمها كلانا فقط!

أبهى منظر أراه في حياتي، ساعة تلتفت في شوق عندما تسمع صوتي بالتسليم داخلًا ثم تهديني ابتسامة يكاد قلبي يقف من روعتها!

أعذب صوت في أذني، صوت مناغاتك وأنت تلهو بلعبك التي بالكاد تحملها يدك الضعيفة، وإن سقطت تصرخ فيها كأنما تتوعدها بعقاب أليم، الذي لا يجاوز أن يكون عضة من لثتك الحانية بلا أسنان!

يقولون في المثل "اللي ما ربهوش أبوه وأمه، تربيه الأيام"، قلت أنا "اللي ما ربهوش أبوه وأمه، تربيه فطرة صغاره"!!

يا معشر الآباء والأمهات تعلموا من فطرة أولادكم النقية، قبل أن يتلوثوا بآفات دنياكم، حفظ الله ذرارينا من آفات دنيانا.

تسيطر علي اللحظة يا ولدي صورة ذلك الرجل، الذي وقف ودموعه تقطر من لحيته مبللة إحرامه الأبيض كوجهه، مقاطعًا موعظتي لوفد الرحمن يوم عرفة، وهو يقول بصوت يخلع القلب "أسألك بالله يا شيخ تدعي الله يرضيني بالذرية، لي خمس عشرة سنة منتظر..منتظر..".

ثم انقطع صوته وسط بكائه، وبكاء الحجاج من حوله، رفعت يدي باكيًا ودعوت الله بأن يرزقه ذرية تقر بها عينه، هو وسائر من حرم الذرية من المسلمين، وارتج المخيم كله بالتأمين، حتى ظننت أشجار عرفات وأحجار الوادي تدعو معنا، وإني لأطمع في الكريم الذي تجلى على ضيوفه يومها؛ بأن الرجل الآن ينعم بذريته.

بكيت يومها يا ولدي شفقة على الرجل، وتأثرًا ببكائه، وبهيبة الموقف لما ارتفعت هذه الأيادي المتجردة من كل مظاهر الدنيا وزيفها في لحظة صدق قد لا تتكرر في غير هذا المكان، أما الآن فكلما ذكرت هذا الرجل!...

سامحني يا ولدي، بللتك دموعي.

obeikandl.com

من وحي النظرة (٦)

لا تستغرب أني لم أعد أكثر النظر في عينيك؛ فالحقيقة أني صرت أغار منك يا ولدي! لم يثر غيرتي أنك أصبحت الرجل الأول، صاحب الكلمة المسموعة في البيت (وإن أنكرت أمك ذلك حفاظًا على مشاعري)؛ فأنت الآن من تحدد برضاك موعد نومنا وطعامنا بل وقراءتنا أو حتى مطالعتنا للفيس بوك!

بكاؤك يعلن حالة الطوارئ، نسارع لإرضائك ودفع ما أغضبك، متى طلبت أمك كانت عند قدميك ملبية، منتظرة إذنك لها بتقديم الطعام لأبيك القادم من عمله وقد تضور جوعًا!

لم يثر كل ذلك غيرتي يا ولدي كما كانوا يحذرونني دائمًا، وينصحونني بتقبل الأمر الواقع؛ فعهد تفردي بالكلمة في البيت قد ولى مع أول صرخة استقبلت بها الدنيا!

أتفهم ذلك تمامًا يا ولدي إلى حين، فلا تقلق. كذا فعلنا بآبائنا، وكذا سيفعل بك أولادك- أمد الله في عمرك على طاعته-.

ألمح التساؤل في عينيك، ما الذي أثار غيرتك إذًا يا أبي؟!

إنها صحيفتك، صحيفتك البيضاء يا ولدي!، أتذكر يوم خلوت بك في ساعة رضاك التي اختطفتها أمك لتقرأ وردها، وتركتنا سويًا؟! يومها تعجبتَ من دموعي وأنا أغض طرفي حياءً بين يديك، ومددت يدك الرقيقة لتجذبني من لحيتي متسائلًا: مالك يا أبي؟! تخيلت ساعتها يا ولدي فجأة أننا نقف سويًا بين يدي الله- بارك الله عمرك، وأطاله على طاعته-، تُرى من يكون أقربنا للنجاة يا ولدي؟!

نعم، لي صلاة وصيام وحج وقرآن، لكن لي نية مدخولة لا أضمنها، ولي قلب أصابته الدنيا بسهامها، ولي عين بها خيانة وجرأة، صارت لا تستطيع مقاومة الطهر والنقاء في عينيك، فتغض الطرف في استحياء.

أنت يا ولدي الآن أبلغ واعظ في حياتي وإن لم تُجِد النطق بعد، ما أنظر إليك إلا وأجد باعثًا للتوبة والاستغفار بداخلي، لعلي أحصِّل شيئًا من نقاء نظرتك التي تحمل بقايا مشاهد من عالم الملائكة، فهمت الآن لم كانت ابنة عبد الوهاب المسيري سببًا في تغيير مجرى حياته، من ظلمات المادية إلى نور الروحانية يوم ولادتها.

فهمت الآن لم كانت مجرد نظرة أقرانك سببًا في توبة كثير من آبائهم، أنتم ممثلو الفطرة النقية في حياتنا يا ولدي، أنتم الوعاظ بنظراتهم دون النطق بحرف، أنتم رسائل حية تدعونا لإعادة حساباتنا دومًا، لي صحيفة يا ولدي تعج بغدرات وفجرات، فأين أنا من صحيفتك البيضاء التي لم يجر

عليها قلم؟!

في هذا المشهد بين يدي الله أيقنت أني سأطلب شفاعتك لعلها مقبولة عن أعمالي المنقوصة؛ عرفت سبب بكائي؟!

استغفر لأبيك يا ولدي، استغفر لأبيك.

obeikandl.com

من وحي النظرة (٧)

وبينما أقلب بعض أوراقي القديمة يا ولدي؛ قفزت أمامي صورة هذا الرضيع مخترقة حاجز النسيان، مسافرة بروحي كآلة الزمن للوراء، فلا تعجب من وجومي؛ فأبوك يتلقى الآن وحيًا من نظرته ونظرتك!

يا للعجب، هذا الطفل يشبهك إلى حد كبير، نفس القوة الكامنة في تمام الضعف، ونفس النظرة النقية التي تحمل بقايا مشاهد من عالم الملائكة!

جلست بينكما كطالب حريص في مجلس علم، أو كخاشع بللت دموعه الأرض في مجلس وعظ.

متحررًا من قوانين الدنيا، متجاوزًا حدود الزمن، جلست بينكما يا ولدي متأملًا أو إن شئت فقل: مستمعًا لحديث غير منطوق، نظرته فيها حنين، ونظرتك هي الأمل، نظرته تصرخ في أعماقي: انظر كيف كنت، فتواضع، ونظرتك تهمس في كياني: تأمل كيف أصبحت، فاشكر.

وتسافر بي نظرته لتتركني أمامك جسدًا حلقت روحه في أثير الذكريات، فاستأذن أمك بالنيابة عني في هذه السفرة الطارئة، التي لن أحزم فيها أمتعة، أو أقطع من أجلها تذكرة!

سفرة استلال مشاهد، ودهشة تساؤل كيف فقد هذا الصغير نظرته البريئة في غياهب الدنيا؟!

ها هو مكب على مصحفه؛ فأبوه يعود من عمله ليسأله أول ما يسأل عن حفظ (اللوح) ومراجعة الجزء اليومي، يا لروعة الفرحة في عينيه حين يكافئه أبوه مع استلامه الراتب بقرطاس (كيمو) اشتراه من المدينة وتركه في ثلاجة البقال المجاور ليأخذه بعد الغداء!

ويكبر الصغير قليلًا، وفي لحظة هي الفاصلة في حياته يجد هاتفًا بداخله:" لن أترك من اليوم ركعة، وحين أكبر سألتزم السنة كما علمنا شيخي"، إنه يحيا حتى الآن بقوة هذه اللحظة، إنه لا يدري كنهها ولا يجد توصيفًا لهذا النداء العلوي الذي سرى صداه في كيانه حينها.

كلما ذكرها غض طرفه حياءً من ربه؛ لولا تلك اللحظة ما كان ليجدي معه نصح أبيه ولا تعليم شيخه، الذي لم يمل من سؤاله عن صلاته يومًا.

كان الصغير ضعيفًا- ولم يزل- أمام عيني شيخه، فلا يسعه إلا الاعتراف وتحمل حفلة العقاب الجماعي للحفاظ الصغار المفرطين في الصلاة!

لا ينسى يوم سألته ابنة عمه ذات العشرة أعوام وبدون مقدمات: "صليت العصر؟" ويتلعثم مجيبًا:

- آه طبعًا

- كداااب، العصر لسه مأذنش أصلًا!!

أطلقتها بثقة مع ذلك الوميض الساحر في عين الطفولة المرحة، ويذهل الصغير عن الجواب، وتحار عيناه ويغادر مجلس العائلة ململمًا ما تبقى من نفسه.

ضحك الجميع ساعتها، لكن الصغير تفجرت في نفسه تساؤلات بريئة لم يخطر بباله أنها ستغير مجرى حياته!

وتدور الأيام دورتها ويقف مع ابنة عمه تلك أمام بيت الله الحرام في لحظة تماه في جلال القدسية، وتحليق في أجواء السكينة، وشعور بساعة استجابة: "اللهم ارزقنا ذرية صالحة"..

ولم يمر عام حتى وضعتك، نورت حياتنا يا "دعوة الكعبة"، كلهم انتظروك بشوق، وانتظرتك بشوق آخر؛ شوق لفطرة ذاك الصغير النقية التي أحييتها في، بعد أن لوثتها آفات الدنيا. شوق لأن أرى نور الحقيقة في عينك البريئة.

لقد تغير الصغير كثيرًا يا ولدي، ضاعت منه- ويا للأسف- تلك النظرة، وها هو جالس أمامك يبحث عنها في وحي نظرتك!

obeikandi.com

من وحي النظرة (٨)

«أمك، ثم أمك، ثم أمك»

لو رأيت هذه الفتاة المدللة يا ولدي، وحيدة أبيها وأمها، ريحانة بيتهم وبهجة أركانه، لو رأيت الدموع في عيني والدها وشهقة الفرح في صدر أمها وهما يريان فلذة الكبد تزف لرجل سيكون أولى بها منهما!

ويقرأ الزوج شريط الذكريات في عين الوالد، وثبات الطفولة، وضوضاء المرح، لحظات النجاح، ودموع الفخر، دعوات الستر، وأداء الأمانة، يا للوالد الذي يستيقظ في الصباح الأول ليدخل غرفتها، لا يسمع ذلك الصوت العذب يترنم بالأذكار والورد القرآني.

لم يرَ تلك البسمة النقية تسري في وجدانه وهو يطلب فطوره ويعرض عليها أن تشاركه فيه، يحاول التجلد وهو يسمع صدى الحنين متسائلًا: أهكذا صارت نوَّارة البيت ضيفة تأتيه زائرة فقط؟!

ويقلب نظره في الجدران تزينت بملصقات الأذكار التي كتبتها بيديها، ويمسح عليها كأنما يواسيها أو يتلمس آثارها على تلك الجدران!

يطمئن قلبه للزوج الذي تعهد بحفظ الأمانة، وشكر النعمة، ويمسح

دموع الذكريات ليستقبل بسمة انتظار لصرخة السبط الأول تعيد الدفء لبيتهم من جديد.

وصار الكل رهن إشارتك يا ولدي، وصارت هذه الفتاة المدللة مؤتمرة بأمرك دون غيرك، حريصة على راحتك قبل من سواك!

لا تغتر بوالدك الذي يدخل عليك بما رزقه الله من أجلك، فلو رأيت أمك تقضي الليل بين النوم واليقظة، عيناها مغمضتان وفي يدها قارورة الحليب تمسكها أن تقع من فمك!

لو رمشت جفونك لقامت هي من شبه نومها فزعة تتفقد ما الذي أقلقك، بينما أغط أنا في نومي العميييق!

وصار هذا القلب المدلل باذلًا للحنان بلا حد، متفانيًا في العطاء بلا مقابل.

مازحتها من يومين قائلًا: "بكرة تيجي اللي تاخده منك، ويحبها ويبعد عنك"، وترد بلا تلعثم: "دا يوم المنى كله، وقرة عيني أشوفه بس سعيد"!، وتتردد صرخة في أعماقي "لله درك يا أمي".

عبر أثير روحاني لا يتأثر ببحار وصحاري حجزت بيني وبينها، أحس بقلبها الذي يدعو في كل نبضة: "ربنا يسعدك يا ابني".

سهرت وتعبت، فرحت وبكت، ضحت وبذلت، ثم ها هي لا تجدني

بجوارها إن تعبت، ولا مستمعًا لفضفضتها إن ملت.

أدري لكم تشتاق لتلك القبلة على جبينها ويدها قبل خروجي بالصباح، لكم تفتقد "تسلم إيدك يا أمي" على مائدة الغداء.

لكم تدمع عيناها حين تذكر تلك المزحة التي ظللت أضحكها عليها أسبوعًا كلما كررتها، لكم تستوحش من غرفة خلت، تعودت دخولها فجرًا لتوقظني للصلاة.

ومع كل ذلك صارت تتصبر بمجرد مكالمة أسبوعية ما هي إلا تهييج للأشواق واستدرار للدموع، وقلبها ينبض، ولسانها يردد: "ربنا يسعدك يا ابني"!

هو القلب الوحيد الذي يحبك يا ولدي (كما أنت) و (كيف كنت)، لا ينتظر مقابلًا، ولا يعامل بالمثل..

لذا أوصيك: "أمك، ثم أمك، ثم أمك"...

obeikandl.com

من وحي النظرة (٩)

جالس- كعادته- بالسيارة في حجر أمه، منتش- كعادته أيضًا- بالخروج من البيت، عابث بكل ما تطوله يده، تعودت سماع هذا الحوار الجميل بينهما أثناء قيادتي

- أمه كافة يده: بس يا حبيبي
- هو غاضبًا: دِدَّاااااااا
- أمه متعالية نبرتها: الله يهديك يا ولد فتحت الباب.
- هو لا يعبأ
- أمه محاولة التصبر: يبني بتنزل الإزاز ليه؟!
- هو مقبل على أمره لا يلتفت
- أمه وقد فاض بها الكيل: شوف حل في ابنك ده!

أسترق نظرة إليه في عتب حانٍ، فيبتسم كأنه حقق ما أراد، ويمد يده راغبًا الجلوس في حجري، أو العبث بعجلة القيادة والعصي من حولها في الحقيقة!

ألتفت عنه منشغلًا بالطريق، فيُنفذ غضبه في تلك المسبحة المعلقة بالمرآة، والتي يستفزه تأرجحها يمنة ويسرة، لا يمضي وقت طويل حتى

obeikandl.com

يتخدر تحت تأثير المكيف، ويخلد لنومة سريعة في حضن أمه، يستيقظ بعدها عند بلوغ وجهتنا، ويتكرر نفس المشهد في العودة بصورة أعنف؛ لأنه يدري أننا عائدون للبيت! هذه المرة كان الأمر مختلفًا مع أنس. لا أدري كيف تسرب لخاطره أنه وأمه لن يعودا معي، وإنما أنا ذاهب لتوديعهما! ترى أبسبب تلك الحقيبة التي توسطت الغرفة منذ يومين، معيقة خط سيره بعربته الصغيرة، وقد رآني أضعها في السيارة قبل أن يركبا؟! أم تراه فهم كلام أمه وهي تلبسه الطقم الجديد ممازحة له: «أنس رايح مصر؟!" أيًّا ما كان السبب، فالصغير على غير عادته صامت في دهشة، مسند ظهره لصدر أمه، يراقب الطريق وكأنه لا يريده أن ينتهي؛ فبعده وداع ودموع! وصلنا المطار، وإذا بالصغير عينه زائغة يمنة ويسرة، لفت نظره كم الحقائب المشابهة لتلك الحقيبة التي ضيقت عليه طريقه!!.

شحنت الحقيبة مع الأمتعة، فاستبشر الصغير، وعاد يداعبني، أخذته في حضني لأطمئنه، أو لأصبر نفسي! عاد لمناغاته ومراقبة الوجوه الهائمة في زحمة المطار، في قسوة وداعه، وروعة اللقاء فيه، دومًا ما ينجذب أنس لأقرانه وينجذبون له، وكأنها لغة الفطرة النقية بينهم، التي لا نفهمها نحن! وصلنا للوحة (المسافرون فقط).. وهنا قطَّب الصغير جبينه لما رأى زهرة تكبره بعام أو يزيد قليلًا، وقد طوقت أباها بذراعيها الصغيرتين، وبللت كتفيه بدموع وداعها، عبثًا يحاول أبوها التجلد، وعبثًا تحاول أمها المسافرة معها

فك ذراعيها الملتفتين حول رقبة أبيها! بكيت لهذا المشهد قبل أن ينفطر قلبي لوداع أنس، مر الأمر كطيف غير مرحب به، وسط وجوم الصغير ودهشته، احتويته في حضني، وطبعت على كل ما طُلته منه قبلاتي، ثم استودعته وأمه اللهَ الذي لا تضيع ودائعه، تلقفته أمه بسرعة كما أوصيتها في البيت ومرت به مجاوزة الحواجز، ولتني ظهرها، مقاومة الضعف في عيني وعينها، لكن ثمة عينين صغيرتين تراقباني من فوق كتفها، لم تصر على تعذيبي يا أنس؟!.. لِمَ ثبَّت عينيك على غير عادتك في اتجاهي فقط؟!.. يا لله ما أقسى (وحي نظرتك) هذه المرة! قرأت في عينيك عتابًا ونداءً ووداعًا.. عتابًا لم تركتنا يا أبي ولن نعود معك للبيت؟! نداءً فلتأت معنا إذًا.. ووداعًا أراك على خير يا أبي! أغرقتني يا ولدي في نظرتك هذه، وغبتما عن عيني وسط الدموع، قبل أن تغيبا وسط الزحام، تجرأت أمك على بُعد لتلتفت لي، وتلتفت أنت معها ملوحة بكفها وكفك قبل صعود الطائرة، لم تلبثا أن تواريتما حتى أنكرت والله كل ما حولي، لا الطريق بالذي أعرف، ولا البشر هم البشر، ولا حتى سيارتي كما هي، متثاقلة بدأت التحرك معي، وكأنها تريد تنبيهي لقد تركت بعضك هنا! ووصلت البيت.. يا للبيت.. ما أقساه بعد أن كان ري روحي وجمع شتاتي، ما أبرده بعد أن كان نابضًا بدفء المودة والرحمة، يتسلل صمت قاتل لأركانه التي طالما ضحكت لضحكك، وانتشت لعبثك ولهوك، لم تقابلني هذه المرة خطواتك الصغيرة المتسارعة بعربتك لتلقاني

على الباب مادًّا يديك، طامعًا في تلك الرفعة التي تكاد تلامس بها السقف، بل ها هي عربتك منكسة في الزاوية، تأبى حتى أن تلقاني بوجهها!!.. ها هي ألعابك مجموعة في حقيبة، كأنها جثة في كفنها، وقد كانت تنبض معك حياة وسرورًا! كل ما في البيت يلومني.. يرفضني.. فقط يشاركني حزني، لا يحاول التخفيف عني، ماذا فعلت لترتبط بك الأشياء هكذا يا أنس؟!.. هل لالتقائكما في عدم جريان القلم والتلطخ بالذنوب؟!. ربما، أين ضجيجك الحاني يؤنس أباك في صمت وحدته؟! أين دفء الجدران وهي تبث الصقيع في أعماقي الآن؟! أين ريح البنوة أشتمّه فيك؛ ليزيل عني عناء الأيام وأكدار الدنيا؟! أتدري يا أنس، أرى الحروف ساخرة مني لا تريد الإكمال معي، وحق لها.. أنا يا ولدي أتجرع هذه الأشجان وبين يدي الآن تذكرة لحاقي بك، وتذكرة عودتنا سويًّا للبيت! سخرت مني الحروف أن أحيا كل هذا وموعد اللقاء- بإذن الله- محدد، فكيف يحيا من حُرم أحبابه للأبد، أو حرمهم إلى حين لا يدري أيطول أم يقصر؟! كيف يحيا أب فزع من نومه على قذف أحال غرفة نوم صغاره لكومة حجارة ملطخة بدمائهم؟! كيف تحيا أم غيب ولدها في غياهب السجون والمعتقلات، لا تدري حي هو أم ميت؟! كيف يذوق النوم أسير بعد زيارة فصل بينه وبين أهله خلالها سلك مقيت ظالم، اتسع ثقب فيه لِبَنَان ابنته الصغيرة مدته فقط لتلمس كف أبيها؟! أتدري يا ولدي؟!.. مادام أمثال هؤلاء في دنيانا، سنبقى

خجلانين منهم ومن أنفسنا.. اللهم يااارب.. فك أسر المأسورين، وأطلق من بظلم مسجونين، واربط على قلوب الأرامل والثكالى والمقهورين.. اللهم واجمع شمل المتباعدين، ورد المغتربين لذويهم سالمين، واحفظنا في أنفسنا وأهلينا وذرارينا، والمسلمين أجمعين.

obeikandl.com

«ما بعد النظرة»

وصار الصغير يتمتم بأشباه حروف، هي في أذني أبلغ من البلاغة، وأصدق من كثيرٍ من مواعظنا!

***

ويمد الصغير يده متلمسًا، وكأنه يسأل: "بجواري أنت يا أمي؟!"، تقع كفه الصغيرة في كف أمه، لتلف ذراعها حوله: «دومًا بجوارك يا ولدي»، بسمة أمان تعلو وجهه، وتزداد أنفاسه النائمة عمقًا! لله ما أعجبكما!، تتواصلان وأنتما غارقان في النوم!

ليت الدنيا كلها مشهد أمومة حانية، وطفولة آمنة!

حياء صار يتملكني حين أنام بجواركما؛ ألا ألوث بآفاتي هذا المشهد النقي، وتجبراني على لحظة سمو قبل نومي، ليتها تدوم لي!

سامحت الكل، أدعو للكل، قلبي سليم على الكل، الدنيا أمامي الآن في أبسط وأصدق وأصفى صورها!

***

obeikandl.com

هؤلاء الصغار يربوننا.. نعم يربوننا!

دخولي عليه مع آثار وضوء، وتوجهي للثوب المعلق صار يعني عند أنس مؤامرة تحاك لخروجي بدونه من البيت.

يعلق نظراته بي كمراقب حريص، مع حركات متحفزة من يديه، كأنما يريد أن يمسكني، انتهيت وصرت جاهزًا لتأتي المرحلة الأخطر، لابد من معونة أمه لإشغاله، ثم وثبة واحدة من الغرفة إلى الصالة ثم إلى الباب، تحين منه التفاتة ليكشف خيوط المؤامرة.

عبثًا تحاول أمه إشغاله، وكلِصٍّ يتسلل خارج بيت أفتح الباب، مصارعًا قعقعة (المفصلات)، يتأكد الصغير من الخيانة؛ ليطلق صرخة مدوية، تهزني حتى أهم بترك (لقمة العيش) والعودة إليه لأطيب خاطره،

وأظل طوال الطريق بين شوق له، وتعجب من (تأديبه) لنا!

صار أنس بارعًا في فنون (الخربشة)، لوحات إبداعه مرسومة بإتقان على وجهه ووجهينا!

استندت بظهري إلى أريكة يجلس هو عليها في وداعة عابثًا ببعض ألعابه، وكنت مكبًّا على كتاب سارحًا- كالعادة- في عوالم أخرى، لا أدري ما الذي أغرى الصغير في رقبتي؟!

لعل وحي الإبداع أتاه؛ فأراد ممارسة هوايته في لوحة جديدة، وبدون تردد أقدم!

وأحسست فجأة بدماغي يفور إثر (هبشة) مسددة، التفت بعين تطاير منها شرر الغيظ، ليلقاني هو بنظرة كأصفى وأطيب ما خلق الله، مادًّا يده في براءة كأنما يعتذر!

احتواني هذا الصغير في لحظة ما حييتها من قبل، هزمت قوة البراءة في عينه فلول الغضب في عيني، ووجدت نفسي مكبًّا على يده وجبينه مقبلًا مسترضيًا، معتذرًا لو كنت أفزعته بسرعة التفاتي!

ورأيت أمه- التي كانت تكتفي بالمتابعة- تكتم ضحكة أقرب للتشفي!، فهمت عنها ما تريد؛ فكثيرًا ما تلومني في غضبي- غفر الله لي-..

تظاهرت بعدم اكتراثي بضحكتها أو برقبتي التي تلتهب، لأقول في ثقة وقد احتضنت الصغير: "أنا ليًّا بركة إلا أنتم»فهمست:"لعلك تعلمت الدرس»!

ألم أقل لكم.. إنهم يربوننا!

***

حتى الحب يعلموننا إياه!

تلك العين الصادقة التي تراقبك بحب؛ هي دومًا مشتاقة لك، متلهفة إليك، إنها لا تعرف معنى الخصام، تبتسم في وجهك، مع أنها لم تزل مملوءة دموعًا بسببك!

أي قلوب يحملونها في سرعة قبول الاعتذار حتى لا تجد فاصلًا بين حزنهم ورضاهم، يا لروعتهم وهم يمزجون البكاء بالضحك!

تلك اليد الحانية التي دومًا ممدودة لك بلا شرط أو مقابل، وهو يستيقظ من نومه، وهو مشغول بلهوه، بل حتى وإن أغراه غيرك بأي كان!

مجرد أن تمد يدك إليه؛ يميل نحوك، يود لو يقفز لحضنك لا يلوي على شيء، يريد فقط أن يكون معك، لا لجمال أغراه فيك، ولا لمال يطمعه في قربك، ولا لجاه ينتظره على يديك، بل لمجرد أنك (أنت)، فهو دومًا يريدك (أنت) كما (أنت)..

أليس هذا هو الحب في أصدق وأرقى معانيه؟!

سنظل منكم نتعلم معشر الصغار!

***

obeikandl.com

هناك أصوات تزيدك حبًّا لاسمك حين تسمعه؛ منها صوت الأم في لحظة رضا، صوت المحبوب في حال شوق، صوت تكريم في غمرة فخار.

لكن لا أرى كل هذا يساوي نشوة صوت صغيرك وهو ينادي اسمك مجردًا للمرة الأولى، مسقطًا حرفًا من بدايته أو نهايته!

***

حين يتسلل نور البراءة من بين أجفان النعاس، حين تعلو البسمة الوجه الصغير القادم من عالم الملائكة لتوه، حين تمتد اليد الصغيرة لك في حنان جامعة بين الاستعطاف والإغراء، حين يشعرك ذلك القلب الصغير أنه افتقدك طوال الليل!

حين تعجز الحروف عن وصف طهر الطفولة تصحو من نومها.

***

كان مؤذن مسجدنا على مشارف السبعين من عمره، فوجئت به يومًا يسعى في الطريق معتمدًا على عكازه مواريًا في كمه كيس فاكهة، سألته ملاطفًا: «على فين يا عم الحاج؟!»

تجاعيد السنين اختفت فجأة من وجهه، وعكازه خف ثقلها فعادت عصا شاب لا يتوكأ عليها، بل له فيها مآرب أخرى، أجابني بنظرة صافية بارة: «رايح لأمي»!!

تركته يمضي وأنا أتابع خطواته المشتاقة للبيت الوحيد الذي ما زال يشعره أنه صغير، للحضن الوحيد الذي يضمه كطفل غير عابئ برأس ولحية اشتعلتا شيبًا. إنه «ابن بطنها» وسيظل!

بضعة أشهر مرت وإذا بي أمشي في جنازة أمه، رأيته بعد الدفن مسندًا ظهره لقبرها يبكي كطفل ضاقت به الدنيا لا يدري أي حضن يأوي إليه بعد أمه!

ثقلت حركته مذ ماتت، صوته بالأذان صار مختنقًا، دبت الشيخوخة فيه كما لم تكن!

تظل صغيرًا- مهما كبرت- ما دمت بحضور أمك، فإذا فقدتها فقد هرمت فجأة، كل حضن بعد حضنها سيشعرك- ولابد- أنك لم تعد هذا الصغير!

***

وفي السجود فاجأني الصغير بامتطاء ظهري، ظللت ساجدًا منتظرًا قضاء نهمته من لهوه.

يسيطر علي شعور غامر بتمام النعمة بأن نكون من أمة محمد- ﷺ- بشر رسول ليس شيء من تفصيلات حياتك- مهما دقت- إلا ولك فيه أسوة!

***

وأبهى من ألق الجواهر في جيد حسناء؛ أثر أسنان الصغير بعد عضة مفاجئة!

***

obeikandi.com

إذا ما نام الصغير نهارًا يعود للبيت الهدوء الذي أشتاق إليه في يقظته، تخرج أمه من غرفته مبشرة لي أنه خلد إلى النوم- بعد المعركة اليومية المعتادة بينهما-.

نعم بشرى لأني أهرع بعدها لكتاب أريد أن أنهيه- آمنًا من محاولات سطوه المتكررة عليه ومغامرات إنقاذ الصفحات المنكوبة من بين أصابعه الصغيرة- أو عمل أريد إنجازه على الحاسب- بعيدًا عن الضغط العصبي الذي تسببه حركات المؤشر العابثة لأن الفأرة في يده-.

وسط انهماكي في كل ذلك تلمح عيني لعبته الملقاة في الزاوية كما بلغت بها رميته، وعربته الصغيرة الخالية على باب غرفته تنتظره لاستئناف جولاته القصيرة وسط الاصطدامات المتكررة بالأثاث أو بأرجلنا، وطبقه الصغير فيه بقايا من طعامه الذي منعته (زرجنة النوم) تداعب عينه الذابلة نعاسا من إكماله!

يثير كل هذا في قلبي شوقًا لا أدري كنهه ولا أستطيع مقاومته، أقضي الوقت كمن ينتظر حبيبًا قادمًا من سفر بعد غياب وقد قرب اللقاء!

لا أجاوز وسط هذه المشاعر الساعة بقليل حتى أتوجه لأمه بالسؤال الذي اعتادته مني: «هو هيصحى امتى؟»!!

***

الصيحة الأولى القادمة من غرفة الصغير مؤذنة باستيقاظه وانتهاء حالة «حظر التجوال» التي كانت مفروضة على البيت طوال فترة نومه الهادئ.

كثيرًا ما لا أستطيع مقاومة تلك الفرصة السعيدة، أستمهل أمه لأسبقها إلى الباب، بهدوء أفتحه لألمح العينين الصغيرتين تراقب الحركة بفضول، جالس يترقب.. يلوح بـ«الرضعة» في يده فارغة كأنها سلاح يجهز به على من بقي من صرعى أحلامه، أثر النوم في وجهه يزيده جمالًا وبراءة، وبقايا الحليب على طرفي فمه يغريان بقبلة لذيذة!

تلك اليدان اللتان تلتفان في لمح البصر حول رقبتك، كأنه يستنقذ نفسه من الإخلاد إلى السرير، أو يريد تعويض وقته الثمين الذي أضاعه في النوم.

بسمة عريضة ترتسم على الوجه الرقيق كاشفة الأنياب التي بالكاد تبرز من اللثة حين الخروج من الغرفة، ونظرة سريعة (للتمشيط) والاطمئنان على حالة الدمى المتناثرة والعربة الصغيرة!

وهنا يحدث ما لا يكون في الحسبان، لا تغريه ألعابه المنتظرة لينزل إليها، ولا ذراعا أمه الممدودتان شوقًا، ولا حتى العربة «الفارهة» على مقدمتها طبقه الصغير.

نعم..

لقد اعتبر كل ما سبق بنود عقد شراكة في جولة خارجية لا مفر منها، وما كان الحضن الصغير والبسمة الكبيرة إلا مجرد توقيع منه بالموافقة!

***

وفي كل مرة صرت أخرج من البيت يودعني بصراخ وبكاء كأشد ما يستطيع، يراها خيانة كبرى أن أخرج من البيت بدونه.

لا يفرق في ذلك بين خروج للدوام أو المسجد مما لا يصلح فيه اصطحابه، أو للتسوق وغيره مما صار واجبًا فيه اصطحابه!

أستطيع سماع بكائه في الشارع، وتوعده بحروف- غير مفهومة- وسط النشيج، في كل مرة أتوقع أن أعود لأجده غاضبًا مخاصمًا أو على الأقل يتصنع ذلك.

وفي كل مرة يخلف توقعي، بمجرد أن أفتح الباب داخلًا وإذا بذلك الزاحف الصغير يأتي من الغرفة جاهدًا منطلقًا نحوي لا يلوي على شيء، مادًّا يده في شوق، راسمًا ثغره ابتسامة حب ساحرة، مجرد حمله ورفعه في الهواء.

ثم التنعم بذاك الحضن- الصادق- يشعرك وكأن شيئًا لم يكن، وكأنه يعتذر إليك عما بدر منه، لكن خروجي فقط بعد المصالحة هذه بخمس دقائق للصلاة كفيل بإعادة نفس (السيناريو) بنفس التفاصيل.

يا ولدي، ليت لي قلبًا كقلبك!

***

-عندي اجتماع معلمات اليوم في دار التحفيظ.

-يعني؟!

obeikandi.com

-يعني مش هعرف آخد أنس.

-وبالتالي؟!

-وبالتالي هتقعدوا مع بعض الوقت ده.

تبادلت مع الصغير نظرات متحفزة مترقبة، كلانا يعلم أنها المرة الأولى التي يغلق علينا بمفردنا باب، بسمة تنير وجهه، أسفرت عن أنيابه الآخذة أطرافها في الظهور كلؤلؤ منثور على ديباج أحمر.

لا أدري لم تذكرت ساعتها البيت القائل:

إذا رأيت نيوب الليث بارزة فلا تظنن أن الليث يبتسم

ولسان حالي: آاااه يا ترى ناويلي على إيه يا أنس؟!

مضت أمه ومع صوت إغلاق الباب أخذته الرعدة المعتادة إثر شعور بالخيانة لخروج تم بدونه، وجدتني مجبورًا للتحول لمؤد لحركات بهلوانية في ساحة سرك؛ فقط لألفت انتباهه الكريم وأنسيه أمر الباب.

ثم بإشارة واثقة من سبابته الصغيرة أجدني ممدّدًا تحت السرير لآتيه طائعًا بالكرة؛ ليعيدها وأعود!

عيناي في وسط رأسي ترقبانه، أرهقني متابعةً وردًّا عن مقبس الكهرباء تارة، وعن الانزلاق على الدرج تارة أخرى، ثم انتزاع الريموت من يده والعودة سريعًا لـ«طيور الجنة» قبل أن يصب عليّ جام غضبه!

«امبو» أفهمتني أمك أنها تعني: عطشان.. تفضل الماء، ثم.. ثم أمسح الماء عن وجهي فقد كان يريد تصفيف لحيتي فقط وأراد نقعها ابتداءً!

كل ألعاب الدنيا حلَت في عينه هذه الساعة، وكأنه أراد تبكيتي على تلك الساعات التي أقضيها ممسكًا بكتابي أو بالجوال واضعًا (رجلًا على رجل) لا أكلف نفسي إلا نداء مصحوبًا بنظرة الثقة من تحت النظارة: «شيلي الولد، الحقي أنس، أبعديه عني الوقت شوية»!!

أشهد يا أنس أنك في هذه الساعة أخذت حقك مني: (تالت ومتلت)..

وأشهد يا أم أنس ويا كل أم أن لو لاكن؛ ما استقام لنا ولا للصغار عيش!

***

بسم الله يا ولدي اخطُ أولى خطواتك، مطمئنًا إن تعثرت فسقطت أن سوف تتلقفك مني أو من أمك يدان حانيتان، لكم يقفز قلبي وأنت قادم إلي بخطى غير منتظمة، مندفعًا لترتمي في حضني لا تلوي على شيء، آخذة خطوات العجلى بمجامع نفسي يا صغيري!

ألا فاعلم يا درة قلبي أنك ستظل ما حييت ذاك الصغير الضعيف، إياك أن تغتر يومًا باستواء عودك وانتظام خطواتك وقوة سعيك؛ ستظل تتعثر وتزل قدمك- عافاك الله-، وساعتها لا تنتظر إلا يد الله تقيمك على الصراط المستقيم وتأخذ بناصيتك إليه.

قم يا حبيبي واسع إليه بكل عزمك لا تلوي على شيء، ارتم في أحضان الذل على عتبة القبول.

هو يا ولدي أرحم بك مني، ومن أمك، ومن نفسك!

obeikandl.com

من كان له أخت = فأراه رُزق بأُمٍّ بعد أُمِّهِ..

ومن كان له بنت = فبشراه ببلسم لهمِّه..

إن بيتًا فيه بنت (صالحة) = هو جنة لكل (ذكر) فيه، كبر أو صغر!

سلوا بيوتًا خلت منهن عن معنى الشوق لحافظة الأسرار،

وبهجة الدار،

ونقاء فيه ستر من النار.

obeikandl.com

الحقيقة يا ولدي أنك أحسن حظًّا من أبيك، وأرجو أن تكون أحسن في كل شيء!

لقد عشتُ حياتي يا أنس أتمنى أن تكون لي أخت، ما كان عمّك- على ما بيننا من حب واندماج- ليسدَّ هذه المنطقة في إحساسي، كما لم أملأها له، لو كان لنا كما لك، أخت.

استوص بها يا حبيبي خيرًا، صاحبها واعطف عليها.

أحبها.. فحبها لك سيجعل لحياتك طعمًا مريحًا، يغذيك كلما احتجتَه.

ولا تنس، دورك كأخ أكبر.. يعني أن تكون لها الأمان في أتم صوره!

قد تتحرج يومًا مِنْ سرٍ لها تودعني إياه، فكن أنت موضع السر الناصح بحرص وشفقة.

وقد تجبن أنت عن مصارحتي يومًا بأمرٍ ما، فاجعلها مفتاحك إليَّ، فإني أضمن لك أنه مفتاح غير عاجز!

يا أم أبيك، يا نظرة غير النظرات..

كل تفاصيلك مختلفة، ملابسك، حركاتك، حنانك الذي تبذلينه فطرة.

إني كلما تأملتك يهجم إلى فكري ذاك الخاطر المؤلم، بالله كيف كان الجاهليون يجرؤون على وأد البنت؟!

بصرف النظر عن كونها من أصلابهم، لكن تلك العين التي جبلها الله

على بذل العطف، واستجدائه في نفس الوقت، كيف تُوارى التراب وفيها ذاك الوميض مازال حيًّا؟!

لا جرم أن يكونوا حطب جهنم، القلوب التي ما لانت لِبِنْتٍ نظرتها واعدة، تستحق الذوبان في النار الموقدة.

هل أصارحك يا رقية بسرٍّ؟!

أرى لو كنتِ أنتِ بكريّتي وكان وحي النظرة الأول فيك أنت؛ لتغير مسار الصفحات السابقة كلها لما لا يتوقعه أحد!

(رجاء لا تخبري أنسًا بذلك).

اللهم احفظ أنس ورقية، وأولاد المسلمين، وأقر بهم الأعين في الدارين.

اللهم وأسعد برزقك أرواح المشتاقين، وألق الصبر والرضا في قلوب من اخترت لهم العوض كاملًا في جنتك يا رب العالمين.

obeikandl.com